السنة الأولى ماستر، تخصص مقاومة وحركة وطنية

المحاضرة 4

المدرسة البنيوية في التاريخ :structuralism

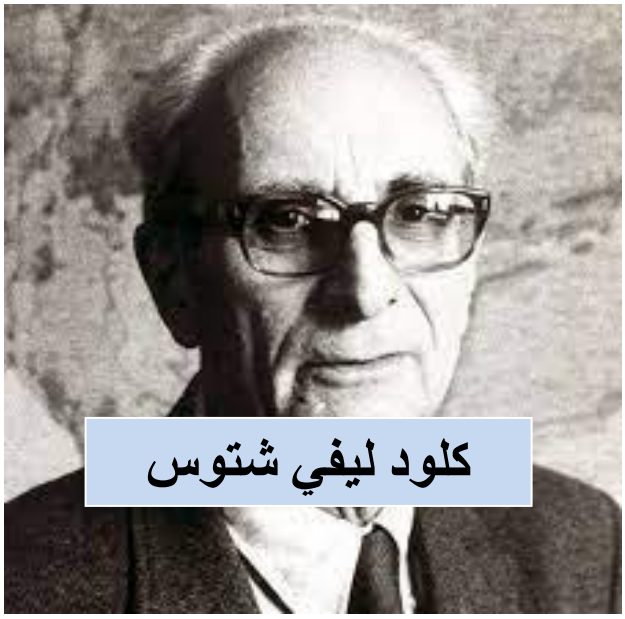

البنيوية هي اتجاه في مجال التاريخ ذات دلالة منهجية اكثر منها فكرية، قائم على أساس استخراج البنى من الأشياء، او "توصيف الحالة الراهنة للأشياء وعلى ابراز صفاتها اللازمنية وعلى تحديد العلاقات القائمة بين عناصر النسق المدروس "[1].ظهر الاتجاه بفرنسا خلال العصر الذهبي للعلوم الإنسانية في فترة الستينيات والسبعينيات، عارضت الماركسية والنظرية الوجودية .

من أبرز منظري هذا الاتجاه "كلود ليفي شتوس" وهو عالم انثروبولوجيا و"جاك لاكان" في مجال علم النفس التجريبي ومن ثم فهي نظرية متعددة الاتجاهات والمشارب على الرغم من غياب وحدة المنهج والقناعات بين العناصر المشكلة لها.

[1] - الهادي التيمومي، المدارس التاريخية ، ص 149.

والظاهر ان البنيوية جاءت استجابة لبعض التحديات والمستجدات المعرفية والمنهجية، لعل أهمها:

-ازمة البحث عن الشرعية في مجال العلوم الإنسانية منذ النظرية الوضعية .

-غياب رؤية موضوعية ومتكاملة ومندمجة في مجال العلوم الإنسانية ما افقدها المصداقية.

-ازمة الانسان المعاصر والعجز عن حل مشكلات الوجود والقيم من خلال الحربين العالميتين والازمة الاقتصادية العالمية.

-الاهتمام الكبير بمجال اللغة وصلتها بالفلسفة والعلوم الإنسانية.

-الانفتاح على ثقافات العالم بعد عصر التحرير والاستقلال السياسي، ومن فم محاولة الاستفادة من تجارب الشعوب.

البنيوية واللغة:

يعتبر مجال اللغة أساس هذه المدرسة[2] من خلال اعمال عالم اللسانيات السويسري فردناند دي سوسير (ت1913)،[3] وتعتبر البنيوية ان اللغة مجموعة من

---

[2] - وقد قيل في هذا الشأن "كل شيء لغة"

[3] - تأثر سوسير بالبيئة العلمية التي نشأ فيها، فقد كان والده عالما في مجال المعادن والحشرات والتصنيف، كان سوسير يمتاز بالفطنة والمهارات الذهنية العالية في شبابه، درس في معهد جمنازيوم جنيف، وهناك تعلم اللغات اللاتينية، الإغريقية، والسنسكريتية، ثم انتقل إلى جامعة لايبزيغ عام 1876م، وبعد عامين من الأبحاث نشر كتابه"أطروحة على نظام الحرف المصوّت البدائي في اللغات الهندوأوروبية"، وبعد مسيرة طويلة من البحث، ألقى محاضرات حول اللغة السنسكريتية والقوطية والألمانية القديمة، ومواضيع لغوية أخرى في جامعة باريس3. اهتم تلاميذه بنشر محاضراته بعد وفاته في الكتاب المشهور"علم اللغة العام" أو " بحث في الألسنية العامة". للمزيد ينظر : فردينانند ديسوسير، ويكي بيديا، اطلع عليه بتاريخ 5 جويلية 2022.

الدلالات والاشارات، يصعب فهمها الا من خلال ترتيبها معا بنظام محدد، ومن خلال المنظور الادبي تعتقد ان أي عمل ادبي يظهر حقيقة شـــيء معين . وتتحقق الدلالة الكاملة للعلامة اللغوية من خلال اقتران الدال بالمدلول، وبهذا يتم الفهم، فلا يمكن فصل الصوت عن الفكرة فكلمة (كتاب) دال مؤلف من أصوات الحروف، والمدلول هو الفكرة التي ترتســم في الذهن عند النطق بالكلمة عنه، وهو المعنى الذي يضــم صفات الكتاب وشكله، كما يوضحه المخطط (مفهوم الدال والمدلول عند ديسوسير):

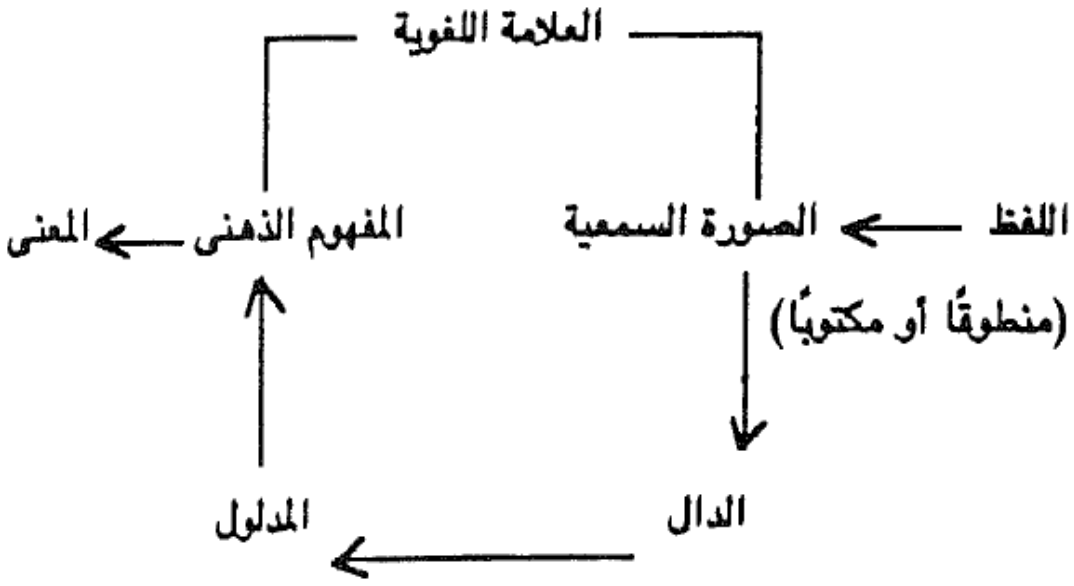

هذا التصور الذى صاغه دى سوسير أنهى وإلى الأبد التصور الكلاسيكى عن علاقة اللغة بالعالم بوصفها تعبيرًا مباشرًا عن هذا العالم .

لقد لاحظ دي سوسير ان اللغة (الالفاظ) مستقلة عن إرادة المتكلم، كما اكتشف مفهوم النسق أي ان كل مجموعة من الأصوات لها معنى معين، ويختلف من لغة الى أخرى والحق ان بعض كتب التراث الإســلامي قد ســبقت دي ســوســير الى تلك

الاستنتاجات دون ان يكتب لها الاستمرارية ومن اجل الاعمال ماقام به سيبزيه وأبو الأسود الدؤلي وكانت عاملا مهما في ضبط القران وقواعد اللغة العربية.

المفهوم:

تعرف البنيوية على انها الطريقة التي يشبه بها بناء معين، ومنه اشتقت اسمها[4]. فالبناء تركيب متكامل ومرصـــوص يشـــمل أجزاء البناء من المخطط والهيكل الى الصـــورة الجمالية، وفي المجال الفلســـفي تعرف بانها مجموعة علامات متكاملة ومتناقضــة فيما بينها بحيث تشـكل انسـاقا محددة على غرار اللغة ، ولا يتحقق المراد الا من خلال اندماج الانساق والابنية وفق نظام محدد.

يميز البنيويون بين مـا هو ثـابـت (ســنكروني) لا يتـأثر بـالزمن وبين المتغير (دياكروني) تطوري او تعاقبي، ولا تهتم البنيوية الا بما هو ثابت، غير انه بهكذا معنى فان البنيوية تتعارض مع التاريخ بحكم ان التاريخ متغير بشـــكل مســـتمر، وقد صرح ستروس بالقول: "لكي نفهم بعض الشيء عن انفسنا ،لا ينبغي الاقتصار على فترة ما على طريقة المؤرخ .وانه من الضـــروري على العكس من ظلك ان نحرق مراكبنا ونذهب لملاقاة أولئك يبدون الأكثر بعدا ممكنا عنا، وذلك للوقوف على ما هو ثابت واساسي في الطبيعة البشرية".[5]

---

[4] - التيمومي، نفسه،ص 151.

[5] - التيمومي نفسه، ص152.

البنيوية والتاريخ:

ترفض البنيوية الفكرة القائلة ان الانسان هو من يصنع تاريخه بمحض ارادته، وهي ترى ان البشر هم صنائع أفكارهم، وان افعالهم هي نتيجة للبنى الكامنة في أفكارهم، وانهم لا يؤسسون المجتمعات ولكن المجتمعات هي التي تؤسسهم وانهم مجرد دمى في ايدي البنى المستترة. وقد أشار ستروس الى وجوب اكتفاء المؤرخ برصد التجليات الواعية في سلوك الانسان لأنه عاجز عن النفاذ الى البنى العميقة للمجتمع. وفي المقابل يعتبر الأنثروبولوجيا هي القادرة على النفاذ والاستكشاف[6].

يعتبر ميشال فوكو (ت1984) من اهم رواد هذا الاتجاه والف كتبا هامة في هذا الشأن منها ،الكلمات والاشياء(1966) ووااركيولوج ساءل حول نشأة الفكر والعلم، والجواب في رايه يمر حتما عبر دراسة الاطر العامة للفكر

ميشال فوكو

[6] - نفس المرجع ، ص 153.

والعلم" عبر دراسة البنية الذهنية اللاواعية وأنواع الخطابات التي ينتجها، ويعتبر ان تاريخ الفكر ليس تطوريا بل ناتج عن تتابع "عدد من الانقطاعات الابستيمولوجية الجذرية".[7]

مراحل تطور الفكر الغربي عند فوكو:

يقسم فوكو مراحل الفكر الغربي الى:

1- عصر النهضة انطلاقا من القرن التاسع عشر والذي قام على مفهوم التشابه.

2- العصر الكلاسيكي: بداية من القرن السابع عشر، حيث وقع انقطاع ابستيمولوجي بين المتشابهات (الكلمات والاشياء) وبرز تفريق بين الدال والمدلول وبين العلامة وما تمثله، فبرز النزوع الى التنظيم والترتيب.

3- القرن الثامن عشر: حصل انقطاع معرفي جديد بضهور الثورة الصناعية والهزات التي احدثتها وانبلاج فلسفة كانط، والتي استحالت الى ميادين للمعرفة الشاملة، ولاحظ فوكو ان العلوم الإنسانية ليست سوى محطة في تاريخ الفكر الإنساني.

لقد أبرز فوكو منهجا فريدا في مجال دراسة التاريخ، فهو يعتبر ان الباحثين يستعملون الوثائق ويستنطقونها، ولا يكتفون بمضمونها بل بالبحث عن مدى صدقيتها وان كانت مزيفة ام حقيقية وباي شكل هي ناقلة للوقائع التي ترويها وتسردها، وان هدف المؤرخين بالأساس هو محاولة اعادة بناء الواقعة انطلاقا مما تتفوه به تلك الوثائق او ما تلمح اليه..

---

[7] -ن التيمومي فسه،ص154.

ثم يستطرد معقبا بالقول "لم يعد هم التاريخ الأول ان يؤول الوثيقة او ان يحدد ما اذا كانت صـــادقة او ان يحدد قيمتها التعبيربة" ثم يعطي حل هذه المعضـــلة المنهجية بالقول :"ان الوثيقة ليست الأداة الفضلى لتاريخ كان ربما في ذاته وبملء ارادته ذاكرة، فالتاريخ أسلوب يتخذه المجتمع لإعطاء كتلة الوثائق التي لا يستطيع ان ينفصل عنها منزلة وبنية مخصوصتين".[8]

[8] - التيمومي، المرجع السابق،ص160.